جابرعصفور وقراءة التراث من منظور حداثي

JaberAsfour and reading heritage from a modernist perspective

أحمد خضرة[1,*]
[1]جامعة الشهيد حمه لخضر (الجزائر)، khedourah1999@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/06/14 تاريخالمراجعة:2021/00/00 تاريخ النشر: 2021/00/00

ملخص:

ان التحول على مستوى التفكير النقدي العربي الحديث يطرح سؤال العودة الى التراث العربي وكيفية قراءته من منظور حداثي ، وستحاول هذه الورقة البحثية في استظهار الرؤية الحداثية في قراءة التراث عند ابرز نقاد المرحلة وهو الناقد جابر عصفور ، وتتوخى مقاربة الناقد للتراث النقدي العربي برؤية القارئ الحداثي بغية البحث عن رؤية قويمة ومنهج أساس في مساءلة التراث العربي .

الكلمات المفتاحية : قراءة – التراث – الحداثة – الناقد – مساءلة .

Abstract:

The shift at the level of modern Arab critical thinking raises the question of returning to the Arab heritage and how to read it from a modernist perspective. The search for a sound vision and a basic approach to questioning the Arab heritage.

.. Keywords: reading - heritage - modernity - critic - accountability

* أحمد خضرة

تقديم :

إن التساؤل الذي يطرح في كل لحظة معرفية ونقدية على مستوى ساحة الفكر النقدي العربي : لماذا العودة الى التراث ؟ وكيف كان تلقى التراث في المنظور الحداثي ؟ وكيف نقرأ التراث ونحن في مرحلة تغيرت زمانا ومكانا ورؤية وتأويلا ؟ نحاول في هذه المداخلة رصد ومتابعة وتحليل التحول الطارئ على التفكير النقدي العربي الحديث ، وبخاصة المشروع النقدي

الذي يعيد قراءة التراث النقدي العربي برؤية جديدة ، وبأدوات إجرائية مغايرة استفادت من خطاب الآخر واستوعبت الكثير منه ، كالنقد الماركسي ، والنقد الجديد كالبنيوية الماركسية وغيرها من التحولات المعرفية والفكرية الوافدة ، وتأسيا على ما سبق ستعمل هذه السطور على النبش في استظهار الرؤية الحداثوية في قراءة التراث عند أحد أقطاب الحداثة العربية وهو الناقد " جابر عصفور " وتتوخى الورقة البحثية مقاربة قراءة جابر عصفور للتراث النقدي وموقفه من ذلك ، بغية البحث عن رؤية قويمة ومنهج واضح وأساسي في مساءلة التراث العربي والوقوف عند عتبات تحديد مقامه وحضوره الفني والتوجه الرؤيوي النقدي المحض في خضم اشكاليتي التلقي والاسترفاد ،لذلك نطرح جملة من التساؤلات :

ما موقف الناقد جابر عصفور من التراث ؟ هل هي علاقة اتصال ام تصادم ؟وما شروط مساءلة التراث ؟ ما أهمية قراءة التراث عند الناقد ؟وما آليات القراءة بنظرة الحداثي عنده ؟وما تمثلاتها الأساسية ؟

1 - أولا :الموقف من التراث ، وأيّة علاقة ؟

ان الحديث عن التراث بالمفهوم المتعارف عليه يستلزم النظر الى مجموع الحركة الفكرية في الامة التي تقتات من التراث ، وهذا الارتباط يتضح حينما ننظر الى التراث العربي القديم على انه ليس الفلسفة ولا علم الكلام ولا البلاغة ولالا تاريخ الأفكار ، ولكنه في تقديرنا البحث في ما انتجته قرائح الامة من علوم وفنون ، او هو مجموع الحركة الفكرية في الامة ، وتتاسس الكتابة النقدية الحداثية للتراث من نزوع معرفي يهدف في جملة ما يهدف اليه ، هو الوقوف عند تلك المحطات المعرفية السامقة من تراثنا العربي ، ومحاولة تحسس مفاصل التواشج والتضام التي ترفدها منظورات ابستيمية لا يمكن الاستغناء عنها .

وعند الحديث عن قراءة التراث نلحظ ان القناعة النقدية قد تشكلت عند الناقد جابر عصفور منذ بداية قراءاته الأولى وتحققت له قاعدة متينة اشتغل جابر عصفور وفقها في قراءة التراث ومباحثة جوانبه وزواياه المختلفة ، وذلك انطلاقا من ركيزتين رئيسيتين هما :

- مساره الاكاديمي والمعرفي التراثي ،ومرجعياته المتعددة في ذلك المسار
- اطلاعه على مجمل القراءات التي قدمت حول هذا التراث قصد إثرائه أكثر وتبيين مناطق الظلام فيه من خلال قراءاته التنويرية والناقدة الفاحصة .

ويحدد الناقد منهجية مستقرة تصلح لممارسة آلية القراءة للتراث ، فيقول: (منذ سنوات طويلة وانا منشغل بعملية قراءة التراث النقدي بوصفها عملية ملحة لها أهميتها في ذاتها وبوصفها عملية صغرى مرتبطة بعملية كبرى في قراءة التراث بوجه عام ، وبقدر ما كنت أدرك أن الالحاح على قراءة هو الوجه الآخر من الالحاح على قراءة الواقع او الحاضر ، فقد كنت ازداد اقتناعا انه لا توجد قراءة بريئة أو محايدة للتراث ، ذلك لأننا عندما نقرأ التراث ننطلق من مواقف فكرية محددة لا سبيل الى تجاهلها ، ونفتش في التراث عن عناصر للقيمة الموحية أو السالبة ، بالمعنى الذي يتحدد اطاره

المرجعي بالمواقف الفكرية التي ننطلق منها)[1]، ولعل الهدف الذي يريد لن يشير اليه جابر عصفور في حديثه ان العودة الى قراءة نصوص التراث العربي هو تحقيق منهج متميز ومختلف في القراءة عن الأنماط السابقة ، وهو ما يؤسس – الى ما يمكن ان نسميه – بجدوى القراءة الفاعلة للتراث ، وهو الانطلاق منه كمطية أساسية لبلوغ أقاصي الحداثة ، والى اكتشاف مدى فاعلية القراءة المتوافرة في الراهن الغربي أولا والعربي ثانيا ، أي انه اذا كان القارئ يريد ان يلوذ بالماضي ليثبت امرا ما في الحاضر وأعوزة آلياته التراثية فإنه لا محالة سيتجه رأسا الى تلك المنجزات المعرفية الهائلة التي تمرّ بها الساحة النقدية المعاصرة ، ويكتب الجابري في ذلك : (فمن جهة عرض هذه القراءة على جعل المقروء معاصرا لنفسه على صعيد الإشكالية والمحتوى المعرفي والمضمون الأيديولوجي ، ومن جهة أخرى تحاول ان تجعل المقروء معاصرا لنا ولكن على صعيد الفهم والمعقولية)[2]

ما يرمي له الجابري هنا هو العلاقة الطردية بالتراث ، وهي العلاقة التي تتراوح بين الاتصال والانفصال وبين الحضور والغياب ، فلا نكاد نحصل على علاقة أحادية به ، الا وتعددت سياقات الاخذ منه او الابتعاد عنه ، لان التراث هناك في نقطة ما ، غير اننا نفكر فيه كما نفكر به ، واستحضاره إياه يكون من باب التعظيم او التبجيل والتقديس ، وهذا الامر نفسه عندما يثبته جابر عصفور عندما يبرز علاقتنا بالتراث فيقول : (هذا الفهم يجرنا الى المشكلة الثانية حيث تتحول علاقة القارئ بالمقروء الى علاقة اتصال وانفصال في آن واحد ، واذا كان القارئ ينتمي الى عصره والمقروء ينتمي الى عصره المقابل ، فان العلاقة بينهما علاقة انفصال لا محالة ، لكن هذا الانفصال سرعان ما يتحول الى اتصال على مستوى البعد القيمي الذي ينطقه النص المقروء ، والذي يتجاوب او يتنافر مع البناء القيمي لعالم القارئ ، ولكن المشكلة ليست على هذا النحو من البساطة الظاهرة ، فالنص المقروء هم بعض ثقافة القارئ ، بعض مخزونه الثقافي الذي تعلمه والذي صار جانبا من عالم وعيه المعاصر ، ومن هنا فإن القارئ المعاصر عندما يقرأ عبد القاهر الجرجاني مثلا ، فإنه يقرأ عبد القاهر الذي يعيش في القرن الخامس للهجرة وعبد القاهر الذي ينام تحت جلدة وعيه في القرن الخامس عشر للهجرة ، فكأنه يقرأ عبد القاهر الذي هناك ، وعبد القاهر الذي هذا ، أي نص عبد القاهر الذي يقع خارجه ، ونص عبد القاهر الذي يقع داخله)[3].

ثمة واقع معرفي يريد جابر عصفور اثباته بهذه المراوحة في إبراز العلاقات القائمة بننا وبين التراث ، اذ لا تخلو علاقتنا من هذه الحركة الدؤوب التي توسم بميسم التراث والمعاصرة ، يقول الناقد عن إشكالية الاستعارة من الآخر مبرزا خطورتها على الذات المستعيرة :(والحق ان الأثر السلبي لهذه الاستعارات المعرفية قرينة غياب الوعي النقدي بها ، وتقبلها بمنطق الاستهلال وليس بمنطق الاسهام في إعادة للإنتاج ، وفحص لامكاناتها على مستويين ، مستواها الذاتي المقترن بسياقها التاريخي ونسقها المعرفي الذي انتجت ضمن علاقاته ، ومستواها الآدائي الوظيفي حين يستخدمها القارئ في سياق تاريخي مغاير او نسق معرفي ينطوي على إشكاليات مغايرة) [4].ومنه نلحظ ان قراءة جابر عصفور من الاخذ والاستعارة على ضرورة الوعي بكل الخلفيات الفكرية والمرجعيات الفلسفية والمعرفية التي انطلقت منها هذه الأفكار قصد إعادة بلورتها وما يتوافق مع الرصيد الفكري والحضاري للذات الناقلة .

2 - قراءة جابر عصفور للتراث :

ان القراءات التي قام بها الناقد حابر عصفور قراءات ذكية وجهود تنويرية ، تحاول ان تكشف المسكوت عنه ليساهم في تطوير الوعي النقدي والابداعي في ادبنا المعاصر ، وبنا ء على ذلك فقد كانت قراءته للتراث عبر مستويين :

مستوى التنظير :وهو الذي تنصرف معه دلالة العبارة الى وصف العمليات التصويرية أو الآليات العقلية التي تقوم عليها أو تتضمنها قراءة التراث على نحو تغدو معه العبارة واصفة لأبعاد العلاقة التي تربط القارئ المعاصر بتراثه من حيث هي علاقة إدراكية تنطوي على مجموعة من المستويات وتتحرك عبر مجموعة من الوسائط ، وتتشكل حسب مجموعة من النظم والأعراف .

مستوى التطبيق : وهو الذي تنصرف معه دلالة العبارة الى تقديم قراءة أو قراءات تطبيقية لجانب او أكثر من جوانب التراث النقدي موضوعا او فكرة او إشكالية او شخصية او كاتبا ...على نحو تغدو معه العبارة واصفة للتراث نفسه من حيث هو معطى او مدرك يتم التركيز على جانب من جوانبه ، بدل التركيز على العلاقة الإدراكية الخاصة بالمستوى الأول ، مما يجعل القراءة داخل هذا المستوى مشيرة الى مجالات معرفية مغايرة ،وهي بذلك تكون اقرب الى ما يسمى ب " نقد النقد " من حيث هو نشاط معرفي ينصرف الى كراجعة الاقوال النقدية

3 - مساءلة التراث :

يتأسس مشروع جابر عصفور النقدي حول مساءلة التراث على أهمية قراءة التراث في ضوء علوم التراث العربية كالفلسفة وعلم الكلام وعلم النفس والتصوف والتفسير وعلوم اللغة ، وهذه الدعوة نجدها في كتابه " الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي " وهو كتاب مؤسس واستمرار خلاق لجهود كثير من العلماء من أمثال لطفي عبد البديع ومصطفى ناصف وشكري عياد وغيرهم ممن اهتم الدرس البلاغي والنقدي ، وقد اليقن بعد تجربة طويلة ان الثقافة العربية في الزمن بين الحاضر والمستقبل (ولا يمكن فك حصار الزمن الا بعد إعادة بناء الماضي للتحرر من اسره ، واخذ موقف من المستقبل بدلا من التسرع نحوه ، وتحليل الواقع المباشر بدلا من الهروب منه)[5] واما بالنسبة لنا نحن العرب ينبغي : (ان نخرج رؤوسنا من الواقع لا ان نخرج الواقع من رؤوسنا)[6]، وقد تجاهل هؤلاء ان قراءة التراث ومساءلته تقوم على الذوق من جهة ، والمعرفة من جهة ثانية ، فانا لا أرى تذوقا ولا أرى تقديرا ولا اعتماد نتائج ، يقول محمد عباس : (ان دراستنا للتراث تعني الوفاء للذات ، وان تعزيز هذا الوفاء لا يأتي كله كاملا الا باستجابتنا لروح العصر كلازمة أساسية لمفهوم الاستحداث الذي اصبح يحيط بالإنسان العربي بهالة من الرخاء الحضاري والفكري والعلمي مما يدفع به الى البحث عن الذات وسط معترك الاحداث التي تخضعها موجات فاعلية ط الثابت والمتحول " وكان شرطا عليه ان يلتفت الى كل هذا بحتمية الاعتبار ويدرك ضرورة التزود من الفعل الماضي أهميته في توجيه الحاضر ، فيقوم عنصري الاصالة والتراث في مفهومهما الإنساني في عامل السبق والابداع لأسس الحضارة ، سواء اكانت هذه الأسس مادية ام روحية وفكرية لنتاج ادبي ولغوي وفني ، في عالم الصراع الحضاري العنيف المحتدم بجدالة المطرد بين القوميات والبيئات المختلفة)[7] ، فالاهتمام بالتراث يعني ببساطة الولاء المطلق لأسلافنا ، لأنه حصيلة لإنجازات وهفوات واشراق واعتام وحيوية وجمود هذا العقل ، والقول بضرورة القطيعة مع التراث امر معيب لأننا حين ننطلق منه انما نريد تأكيد ذواتنا وتحقيق هويتنا التي كما قال العقاد " الهوية الواقية " وينبغي كذلك الا نصرف أنفسنا عن الاخذ بأسباب الإقلاع

الحضاري ، حتى وان كانت هذه الأسباب من عنديات الآخر كما يرى كراش بن خولة في مقال له في مجلة " فصل الخطاب ")[8] ، لا شك ان هذه النظرة العقلية لمعالجة قضايا التراث هي المسؤولة عن نزع قداسة هذا التراث وتبجيله عند المفكرين الجابري واركون ، ولقد وقف جابر عصفور الموقف نفسه من التراث حينما حاول مقاربته مقاربة عقلية ، متحيزا في ذلك الى التيارات العقلية في التراث ممثلة في المعتزلة وموقفهم في الكثير من القضايا الإشكالية ، بل وفي الكثير من الأحيان يعدد الجوانب السالبة التي وسمت أعمالهم قصد استخلاص الدروس والعبر من هذه الأخطاء ، ومن جملة مواقفه من نقائص التيار الاعتزالي قوله :(علن ان مسلك المعتزلة هنا حول نظرتهم الى المجاز نظرة جامدة عقيم ، لأنك اذا استعدت كل الجوانب الحسية من التعبير المجازي وارجعته الى علاقات محضة تؤدي معاني مجردة ، فإنك تخنق القدرات الثرية للمجاز ، وتقضي على كل ما يمكن ان يثيره في مخيلة المتلقي)[9] ، تتركز رؤية جابر عصفور للتراث في زاوية ان لكل امة تراثها وان لا افضلية لامة عن امة أخرى .

يعالج جابر عصفور الكثير من القضايا سواء اكانت قديمة ام حديثة ولا يألو جهدا في وضع يده على مواضع الداء والخلل في المنظومة الفكرية او المعرفية العربية ، ففي قضية الشكل والمضمون على سبيل التمثيل ، يولي الناقد عناية بالغة بهذه القضية ، دون ان يسير على وتيرة النقد العربي القديم ، لان هذه من أمهات القضايا في النقد العربي القديم ، يقول جابر عصفور : (فليس ثمة شيء يمكن ان يسمى شكلا الا من قبيل التعسف أيضا فلا شيء له وجود متعين غير القصيدة نفسها باعتبارها موازاة رمزية تفصح عن موقف لا وجود له خارجها باي حال ، والموقف التي تقدمه القصيدة هو ضرب من الادراك الجمالي للواقع يتميز تميزا نوعيا عن أي إدراك آخر ، والا لما كان للفن خاصية النوعية)[10].ان عملية العودة التي التراث تكتسي أهمية بالغة على الصعيد المعرفي والثقافي ، والرجوع اليه انما يؤسس لخطاب نقدي جديد يحاول الإجابة عن التساؤلات المهمة التي نطرحها عليه قصد إعادة كتابته من جديد .

اتجه حابر عصفور صوب المستودع التراثي مسائلا إياه ومنقبا عن اهم المحطات المعرفية وعلامات الطريق البارزة التي من شأنها ان ترشد الباحث في ثناياه ، فالتراث عنده بمثابة الحصن المنيع الذي يذود عن الذات وعن أهميتها ، ويمنع من تسرب الآخر في هذه الذات محلا نفيها محلها ، وهو – أي الناقد – اذ يلوذ قافلا الى التراث لا يروم في الوقت نفسه الانغلاق والتحجر على منجزاته ، بل يروم الانفتاح سبيلا للمشاركة في صنع الحضارة الإنسانية شريطة ان يتم الوعي به – أي التراث – وبالآخر في الوقت نفسه تتحلى الأهمية الكبرى لقراءة التراث عند جابر عصفور أهميتها في ذاتها .

4 - القراءة الحداثية للتراث عند الناقد :

لقد ركز جابر عصفور على القراءة ، كمفهوم أساسي لتاسيس الرؤية الجديدة ونظرة معاصرة للتراث النقدي ، كما نجد ان جابر عصفور يستخدم مصطلح قراءة التراث النقدي بدل مصطلح دراسة الذي كان شائعا ، ويرجع سبب شيوع مصطلح القراءة في السنوات الأخيرة الى الرغبة في تأكيد الطابع التفسيري التاويلي لكل فعل من أفعال القراءة .

اما فيما يخص انطلاقات جابر عصفور في تقديم قراءة حداثية ، فينطلق من افتراض منهجي مؤداه " ان كل نص من نصوص التراث النقدي لا يمكن ان نقراه في عزلة عن غيره من النصوص)[11]، نلمس من خلال هذا القول ان تحقق معرفية النص التراثي ضمن شروط القراءة عند جابر عصفور مرتبطة بالنظرة الكلية والشاملة للتراث ، وهي قراءة تعتمد مباشرة الى فهم النص التراثي ومن ثمة قراءته وفق مستويات التشكل باعتبار النص التراثي النقدي (وحدة

سياقية واحدة داخل وحدة سياقية أوسع هي التراث كله) [12] ، لان مجمل السياقات التي لفظت التراث النقدي هي نفسها التي لفظت التراث ككل ، وما التراث النقدي الا قراءة الفلسفي والديني ، وبحث الادب ، منه يستخرج قضايا الادب ويؤطرها ويقعدها ، وهكذا سارت حركة التتبع الادبي في شكل المنهج التطبيقي ، وهذه العوالم الصغرى التي تشكل العالم الأكبر في مجال التراث يمكن ان تحدد اتجاهات قرائية للتراث بصفة عامة على سبيل المثال :

رؤية العالم : النص في تاريخه

رؤية عالم : النص في ومن القارئ المعاصر

ومنه يتقاطع التاريخ مع النص الموازي ، وقد تتقارب الرؤيتان القديمة والمعاصرة .

وسؤال الحداثة هو سؤال التراث ووعيها هو وعي للتراث ، لذلك تظهر الحاجة الملحة دائما الى هذه الثنائية اذ بواسطتها تتوفر الحيوية النقدية ، وتتحدد مفاهيم مغامرة التحديث ، ومع ذلك هل يمكن وضع حدود معينة ونهائية للتراث والحداثة ، وجابر عصفور في كتابه " اضاءات " وكتابه " دفاع عن التنوير ط يرى الكاتب ان تحليل الأسلوب أو اللغة هو الذي يمكن للقارئ دراسة التركيبة الدلالية المتكاملة ، وهي القادرة على كشف النص والمجتمع ، وهو منهج قريب من المنهج الماركسي الجديد ، ويشير بالالتزام وبالنقد الأيديولوجي وتجاوز النقد التاثري ، كل ذلك من اجل مجابهة مدرسة الفن للفن والمعادل الموضوعي ودعاوي ت س اليوت عند رشاد رشدي ، في حين كان لويس عوض غير ماركسي اكثر بعد نظر من المفهوم علاقة الفن بالواقع من محمود أمين العالم وعبد العظيم انيس اللذين كانا ترديدا لمقولات " زادانوف وستالين " للماركسية في الادب وعلم الجمال مع أهمال لقضايا البناء الجمالي والاسلوبية التعبيرية ، وعموما فأدباء العربية قد قدموا الماركسية تقديما فاشلا الامر الذي جعلنا نستغرب المدارس الأخرى المعارضة لمقولاتها من مثل الشكلانية والواقعية والمادية والمثالية) [13].ولقد قدم جابر عصفور قراءة حداثية للتراث تمثلت في عدة قراءات :

<u>القراءة التاريخية</u> : استعان جابر عصفور بالمنهج التاريخي كمحطة أولية في القراءة الحداثية للتراث ، وقامت على اعتبار ان النصوص التراثية نسقا واحدا غير خاضع للتراكم العشوائي وغير قابل لفعل انتقالي لا يعكس سوى أيديولوجية مفروضة على النسق ، ولهذا راينا جابر يقرأ ابن طباطبا مثلا في ظلال سابقيه من النقاد كالاصمعي وابن سلام الجمحي والجاحظ وابن قتيبة ، وفي حضور معاصريه المتفلسفين كالبلخي وابي بكر الرازي والفارابي ، وكذلك الشعراء المحدثون أمثال بشار بن برد وصالح عبد القدوس وابي نواس وابي تمام ، يقرؤهم بجانب الشعراء التقليديين فيبدو الفارق واضحا ما بين رؤية ورؤية وما بين أساليب معتادة وأخرى مبتدعة) [14] ، ونرى ان هذه القراءة تحقق هذه حضور المقروء وصبه في مجرى التاريخ الحي الذي ينتج دوما معرفة جديدة ، كما تكشف هذه القراءة المؤثرات السوسيوثقافية التي انتجت تلك النص القديم .

لقد وضح جابر عصفور هذه الصورة بشكل أوضح في اطار مقدمات منهجية بقوله : (لقد اصبح واضحا بعد حديثنا عن حدث القراءة ان القارئ الذي يقرأ المقروء ، لا يقوم بفعل تعرف بكر على ما يقرأ ، ويمكن ان نضيف ان في مكونا ت الانساق المعرفية التي ينتمي اليها هذا القارئ او التي تؤثر فيه عشرات القراءات السابقة التي تمت من داخل النسق المعرفي الذي يحرك القارئ او من انساق أخرى لها حضورها الفاعل في هذا النسق بالسلب او بالإيجاب) [15] ، فلقد التفت

جار عصفور في هذا القول الى قضية مهمة في القراءة التاريخية للتراث ان قراءته تكون مقترنة ومستندة على قراءات أخرى سبقها بسنين .

القراءة البنيوية : ولقد تناول جابر القراءة البنيوية التكوينية ، فلقد نشر جابر عصفور مقالة في مجلة فصول المصرية سنة 1981م ، بعنوان " عن البنيوية التوليدية ، حيث أشار الى ان انتشار البنيوية في الوطن العربي كان بعد حرب 67 ، باعتبارها ولدت وعيا لدى المثقفين العرب جعلهم يسعون الى الخلاص من الاستقطاب الفكري والنقدي الى احد المعسكرين المتصارعين السوفياتي والامريكي بالبحث عن بدائل ، فرأوا في البنيوية اللغوية بديلا اكثر وعدا من أفكار النقد الجديد ، وفي البنيوية التوليدية اكثر تماسكا في منطقه العلمي من نظرية الانعكاس خصوصا في تجلياتها العربية التي لم ترق في كثير من مجالاتها الى مستوى الأصل)[16]، هنا يؤكد جابر عصفور على ضرورة إعادة قراءة التراث في ضوء المكتسبات والمعارف المنهجية الجديدة لا سيما اللسانية منها ، باعتبار النص المقروء مفعم بمادة لسانية تتماشى والدرس النقدي المنهجي الغربي المعاصر ، وعلى القارئ الحداثي المندرج داخل اطار القراءة الحداثية للتراث ان لا يغفل عن هذه الإضافات والاسهامات الناتجة عن محاولة تطبيق علم اللسانيات على منهج قراءة التراث ، كما ينفتح هذا المقروء على المنهج المعاصر ، ويستجيب لادواته واجراءاته القرائية ، ويبقى المنطلق الأساسي في هذه الاستجابة هي ان النص المقروء يلح على القراءة الجديدة المغايرة لما تم قراءته سابقا وتقديمه على الدرس النقدي الحديث .

5 - **افق القراءة الحداثية عند الناقد** :تتجسد الحداثة عنده بين ان تشد وثاقها بما سبقها وتتشبث به محاولة الإبقاء عليه وبين لحظة تشكل الوعي المتمرد الطامح الى مواكبة العصر والبحث عن مكان في ذلك الوجود ليحقق وزن وكثافة ذلك الوعي ، ومن ذلك هذا الوعي قادرا على استيعاب الذات المعاصرة بعطفها على ماضيها أي تراثها ، وانبنائها داخل الوجود الحداثي الجديد الذي يرمي الى تجديد فرض القراءة الحداثية ، يقول :(وفيما يصل ويفصل بين زمانين هي لحظة انقسام مالا بين عالم قديم قائم وعالم جديد في الأفق ن وصراع ما بين مؤسسات العالم القديم واجهزته المعرفية والعلمية والتعليمية)[17]فقد عقد حابر عصفور موازنة بين القارءة القديمة والقراءة الحديثة للتراث متطرقا الى الخصائص المحورية التي تقوم عليها القراءتان باحثة عن عقول مبدعة تؤمن بالوعي النقدي وروح المساءلة التي يمكن ان تكون مدخلا اوليا لمجاوزة القصور العربي المعيب .

وأخيرا ومن خلال ما تناولناه حول الخطاب النقدي لجابر عصفور وقراءته الحداثية للتراث نجده انه تمحور حول محاور أساسية انطلقت من الخلفيات المعرفية والمرجعيات القرائية اذ توزعت هذه المرجعيات بين تراثية وأخرى حداثية وهو ما يتضح من خلال تتبع اعمال جابر عصفور النقدية والتي انطلقت من مقدمة كتابه قراءة التراث النقدي بمسلمة مفادها انه يزداد اقتناعا بأنه " لا توجد قراءة بريئة او محايدة للتراث ، ذلك لأننا نقرأ التراث ننطلق من مواقف فكرية محددة لا سبيل الى تجاهلها ، ونفتش في التراث عن عناصر للقيمة الموجبة او السالبة بالمعنى الذي يتحدد اطاره المرجعي بالمواقف الفكرية التي ننطلق منها "[18]، هذا التأكيد الذي ينطلق منه جابر عصفور يتيح للقارئ التأمل في مجمل ما يحمله من أدوات منهجية وإجراءات نقدية ، ويحمله على ان يضع في حساباته مدى الفواصل التي تكون بين الممارسة النقدية والمنهج ، أي بحدود الموضوعية التي يكتسبها المفسر من خلال المنهج وسلطته ، وبين الذاتية التي تتدخل بشكل صريح في التفتيش عن عناصر القيمة ، وهو ما يؤكده جابر عصفور على ان عبارة قراءة التراث يجب فهمها على

المستويين التطبيقي والتنظيري لا على احدهما فقط .كما تناول الناقد الى اهم المحطات المعرفية التي صاغت العملية القرائية ، وابرزها الوقوف بشكل حيادي مما قراه من تراث الذات العربية المبدعة ، اذ يقف جابر عصفور من هذا الزخم المعرفي موقف المتسائل عن فاعلية القراءة الحداثية لهذا التراث التليد ، فقد نبش في طبقات المسكوت عنه والمنسي من التراث لعمليات القراءة قصد بلوغ تلك المرامي التي ينشدها الناقد العربي بصفة عامة ، باعتباره قارئا ذكيا لهذا التراث بكل تشعباته وتفريعاته النقدية والشعرية والدينية ، وهكذا فقد انشغل الناقد لقراءة التراث النقدي بوصفه هاته القراءة عملية ملحة لها أهميتها في ذاتها ، وبوصفها عملية صغرى مرتبطة بعملية كبرى ، هي قراءة التراث بوجه علم وقد انطلقت من سؤال : كيف يقرأ هذا التراث ؟ وكيف نحول هذا التراث الى عملية تحمل فكري تسهم في تطوير وعينا بواقعنا وتراثنا في آن واحد .

هوامش وإحالات المقال

[1] جابر عصفور : قراءة التراث النقدي ، دار سعد الصباح ، الكويت ، ط1 ، 1991م ،ص 09.

[2] محمد عابد الجابري : نحن والتراث ،- قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1982م ، ص 16.

[3] جابر عصفور : قراءة التراث النقدي ، مرجع سابق ، ص 14.

[4] نفسه ، ص 114.

[5] ناشرون ، الجزائر ، لبنان ، ط1 ، 2007م ص11.

[6] ياسين الحافظ : التجربة التاريخية الفيتنا مية – تقييم نقدي مقارن ، مع التجربة التاريخية العربية ، دار الطليعة ، ظ3 ، 1979م ، ص 17.

[7] محمد عباس : الابعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني ، دار الفكر ، لبنان ، سوريا ، ط1 ، 199م ، ص 8.

[8] كراش بن خولة : أصول المنهج البلاغي في كتاب المرايا المقعرة لعبد العزيز حمودة ، مجلة فصل الخطاب ، العدد 5 ، ص 148.

[9] جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، المركز الثقافي عند العرب ، بيروت ، ط3 ، 1985م ، ص11.

[10] جابر عصفور : مفهوم الشعر ، دراسة في التراث النقدي ، مجموعة اعمال جابر عصفور ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 2003م ،ص 09.

[11] جابر عصفور : قراءة التراث النقدي / ص 6.

[12] نفسه : ص 07.

[13] عبد الرحمان أبو عوف : مراجعات في الادب المصري ، الهيئة المصرية للكتاب ، ط1 ، 1998م ، ص 397.

[14] مهدي بندق ، حداثتنا المعاصرة ، ص 119.

جابر عصفور قراءة التراث النقدي : ص 74.[15]

جابر عصفور : عن النيوية التوليدية ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، مجلد 1 ، عدد 1 ، 1981م ، ص 217.[16]

جابر عصفور : الهوية الثقافية ، ص 14.[17]

جابر عصفور : قراءة التراث النقدي ، ص 5.[18]

مراجع الدراسة :

1 - جابر عصفور : قراءة التراث النقدي ، دار سعد الصباح ، الكويت ، ط1 ، 1991م ،

2 - محمد عابد الجابري : نحن والتراث ،- قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي ، المركز الثقافي

3 - ياسين الحافظ : التجربة التاريخية الفيتنا مية – تقييم نقدي مقارن ، مع التجربة التاريخية العربية ، دار الطليعة ، ظ3 ، 1979م.

4 - محمد عباس : الابعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني ، دار الفكر ، لبنان ، سوريا ، ط1 ، 199م ،

5 - كراش بن خولة : أصول المنهج البلاغي في كتاب المرايا المقعرة لعبد العزيز حمودة ، مجلة فصل الخطاب ، العدد 5 .

6 - جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، المركز الثقافي عند العرب ، بيروت ، ط3 ، 1985م .

7 - جابر عصفور : مفهوم الشعر ، دراسة في التراث النقدي ، مجموعة اعمال جابر عصفور ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 2003م .

8 - عبد الرحمان أبو عوف : مراجعات في الادب المصري ، الهيئة المصرية للكتاب ، ط1 ، 1998م .

9 - جابر عصفور : عن النيوية التوليدية ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، مجلد 1 ، عدد 1 ، 1981م.